سيرة وعلم
الدكتور نمير العاني ومنجزه الفلسفي

أ ، م ، د. فوزي حامد الهيتي*

المطلب الأول– حياته وأهم نتاجاته العلمية

أولاً– سيرته: من يطلع على السيرة الذاتية للدكتور نمير العاني التي كتبها بنفسه الى الموسوعة الفلسفية العربية بطلب منهم يستطيع أن يشخص محطات مهمة لها أثر في حياته وما زالت تترك ندبا في ذاكرته، لدرجة إنه يتوقف عندها طويلا ويسرد تفاصيل قد لا تبدو مهمة لغيره مثل قصة اعتقاله ومن ثم تفاصيل هروبه خارج العراق، أو تغيير تخصصه الأكاديمي من الكيمياء الى الفلسفة، أو موضوع تعيينه في جامعة بغداد، في حين لا يتوقف كثيرا ولا يتحدث عن حياته ودراسته الأولى، لا في مدينته عانة ولا في بغداد، ولا حتى حياته الأكاديمية في روسيا، البلد الذي قضى فيه جل حياته وأنتج أهم وأغلب أعماله.

لا شك أن هذه المحطات كان لها الأثر الفاصل في مسار حياته وتحديد اتجاهها ولكنه لم يقف كثيرا عند اختياره لمشروعي دراسته في الماجستير والدكتوراه، والتي تعد اللبنة الأهم في تكوينه الفكري.

إنّ الملاحظ على هذه المحطات غلبة طابع المواجهة والصدام وتقرير موقف والتمسك به الى النهاية غير عابه بالنتائج. يقول متحدثا عن نفسه مختزلا حياته حتى دخوله الجامعة بأقل من ثلاثة أسطر: إنه ولد في عانة في الثاني من نيسان سنة ١٩٤٣، وانتقل مع العائلة للعيش في بغداد سنة ١٩٥٠، وأكمل الإعدادية سنة ١٩٦٠، والتحق ببعثة دراسية الى روسيا في السنة نفسها لدراسة الكيمياء. يقول: وبعد أن أنهيت سنتين دراسيتين في كلية الكيمياء في جامعة لينينغراد، اضطرني الأطباء أن اترك دراسة الكيمياء بسبب وضعي الصحي بعد أن عانيت من انهيار عصبي إثر انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ الدموي في العراق، الأمر الذي حملني أن آخذ إجازة مرضية لسنة دراسية كاملة. و بعد ذلك، أي مع بداية السنة الدراسية ١٩٦٤–١٩٦٥ تم نقلي إلى كلية الفلسفة في الجامعة نفسها لدراسة الفلسفة، و التي وقع اختياري عليها بدلا من الكيمياء .

يستمر د. نمير العاني في سرد قصة تحوله من دراسة الكيمياء الى الفلسفة وموقف الدولة من ذلك بإلغاء بعثته وقطع المخصصات المالية عنه ومن ثم حصوله على منحة من الجامعة ذاتها لينجز دراسته بثلاث سنوات مختصرا المدة المقرر اجتيازها بخمس سنوات، ليحصل على الماجستير سنة ١٩٦٧ ، ومن ثم الدكتوراه فلسفة (العلاقات الاجتماعية) سنة ١٩٧١، من دون تحديد لعنوان الأطروحة بدقة.

يشير العاني في رسالة أخرى بعد أسئلة إيضاحية طرحناها عليه، إنه ينتمي لعائلة كادحة مثل جل العوائل العراقية في ذلك الزمان، والده (مهدي حمد الرحمو) الرجل الأُمي، تنقل في مهن عدة منها عاملاً في شركة النفط الوطنية، وساهم في إضراب عمالها ، على

* **قسم الفلسفة – كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية**

الرغم من عدم اشتغاله بالسياسية، كما عمل والده في التجارة بين سوريا والعراق، وأخيرا في تجارة الصابون في بغداد بعد انتقاله إليها، أما والدته السيدة (ربة البيت والأمية أيضا) خيرية جواد العامل، عمة الشاعر العراقي الكبير رشدي العامل، فكانت بخلاف والده، إذ انخرطت بالعمل السياسي النسوي منذ ستينات القرن الماضي، وعضوة نشيط بالحزب الشيوعي العراقي، وعملت سوية مع زكية خيري (شقيقة السياسي المعروف زكي خيري) في منظمة واحدة، الى أن تركت العمل السياسي مطلع السبعينات. وترك العمل السياسي في هذا الوقت له دلالته الواضحة وينم عن وعي سياسي عالي للسيدة خيرية.

ويبدو أن من ادخل العائلة صخب السياسة وأوجاعها أخوه الأكبر (صفاء مهدي العاني) الذي انتمى للحزب الشيوعي في الخمسينات وأعتقل سنة ١٩٥٥. وهو من كان له الأثر الأكبر على توجيه قناعات أخيه نمير العاني السياسية ومن ثم الفكرية، وتبنيه في نهاية المطاف الماركسية والمنهج الديالكتيكي مشروعا فلسفيا.

وعن توجهاته السياسية يقول نمير العاني: إنه ارتبط رسميا بالحزب الشيوعي العراقي عام ١٩٥٩ وهو طالب في الصف الخامس علمي في ثانوية الكاظمة، وأول تعميد سياسي له بحسب تعبيره حين شارك بإضراب واعتصام الطلبة سنة ١٩٥٦ ، وهو مازال في الصف الثاني متوسط في ثانوية الكرخ، إذ ناله منها أول (علْقة) من هراوة شرطة نوري السعيد، وانتهى مشواره الرسمي بالسياسة نهاية سنة ١٩٧٨ قبيل اعتقاله ومن ثم خروجه من العراق سراً الى روسيا عن طريق الكويت في نهاية آب ١٩٧٩.

أما حياته العلمية والأكاديمية فيحدثنا نمير العاني عنها برسالتيه[1] ، إنه بدأ حياته العلمية شغوفاً بالعلوم الطبيعية، ويصف ولعه هذا قائلاً : إن حبي للعلم الطبيعي لا يزال يختلج في نفسي حتى هذه اللحظة، و يجد تجسيداً له حتى في إنتاجي الفلسفي. وأحيانا تراودني حسرة واشعر بالندم لعدم تمكني من إكمال مشواري في العلم الطبيعي والذي بدأته بدراسة الكيمياء. إذ كان اختياره للفرع العلمي في دراسته الثانوية في العراق هو ذات السبب لاختاره الكيمياء في روسيا السوفيتية تحديداً لدراسته الجامعية من بين اختصاصات أخرى منها الهندسة كان بإمكانه الحصول عليها في بلدان بما فيها بريطانيا العجوز وأمريكا وارثة الحلم والمشروع الروبنسن الكروزوي. لكنه فضل الكيمياء وروسيا على العالمين.

وبقدر عناد العاني ومطاولته كانت الأقدار حاكمة عليه إذ غيّر تخصصه مرغماً كما اشرنا من الكيمياء الى الفلسفة، التي بدأ ولعه بها يتنامى خلال دراسته في روسيا السوفيتية، وكثرة قراءاته الفلسفية في هذه الحقبة من حياته. مثلما أرغمته الأقدار أن تكون روسيا موطنه بدلاً من العراق، حين اضطر مرغما على اخذ الجنسية الروسية سنة ١٩٩٧، وبعد مطاولة ولا نقول مكابرة (كون من يشرب من ماء الفراتين يعلم بفعلها بالنفس).

بعد حصوله على شهادة الدكتوراه في الفلسفة عام ١٩٧١ ، عاد الى العراق للعمل تدريسياً في قسم الفلسفة بجامعة بغداد، وبعودته بدأ فصلاً جديداً من المواجهات والمعانات بسبب آرائه وأفكاره الفلسفية المعروفة في الوسط الجامعي آنذاك ولا نقول الأكاديمي فـ(في

الأكاديميات حرمة للأفكار لا تحارب)، وأول هذه المواجهات كانت في تعيينه، التي أصبحت قصة تداخلت فيها مواقف الجامعة مع الصحافة، حسمت أخيراً بقرار من رئيس الجمهورية وبتدخل شخصية سياسية بارزة آنذاك ليعين مدرساً في هذه الجامعة سنة ١٩٧٣.

يقول العاني: ((قمت بتدريس مفردات الفلسفة الحديثة و الفلسفة المعاصرة و مذاهب و مشكلات فلسفية. وبخاصة المادة الأخيرة، حين شرعت بتدريسها، تتألف من عرض لأهم مفاهيم و تصورات كل من الفلسفتين الوجودية و البرجماتية. وباقتراح و إصرار مني وافق القسم على إضافة الفلسفة الماركسية إلى منهاجها الدراسي. و هكذا أصبح للمادية الفلسفية عموماً وللمادية الديالكتيكية خصوصاً عنواناً مسموعا في هذا القسم الذي بقى طيلة تاريخه، ومنذ تأسيسه في عام ١٩٤٩، بعيداً عن الحضارة المعاصرة)).

بعد أربع سنوات وفي عام ١٩٧٧ حصل على لقب أستاذ مساعد. وخلال هذه السنوات درّسَ أيضاً مادة فلسفة العلم في كلية العلوم، وفلسفة الفن (علم الجمال) في أكاديمية الفنون الجميلة جامعة بغداد، وتاريخ الفلسفة في الجامعة المستنصرية، ومدخل الى الفلسفة في جامعة البصرة. غير أن عمله خارج جامعة بغداد لم يستمر أكثر من سنتين ، إذ أُقصي بعد ذلك بسبب آرائه أيضا، وأقتصر عملَهُ أخيراً في قسم الفلسفة، وبخاصة في الدراسات الأولية والعليا (ماجستير)، الذي انتهى أيضاً عند اعتقاله سنة ١٩٧٨، ومن ثم هروبه سنة ١٩٧٩ ولاسبابٍ سياسية كما اشرنا.

وبعد هروبه من العراق وحال وصوله الى روسيا السوفيتية بدأ رحلة رفع الآثام واللعنات العراقية. يقول العاني: وحال وصولي إلى هذا البلد خضعت لعلاج طبي لإزالة ما خلفه الاعتقال والتعذيب من آثار، و بعد ذلك انغمرت في العمل البحثي، الذي مكنني فيما تبقى من سنتي المنحة أن اكتب أطروحة علمية جديدة لنيل أعلى درجة علمية في النظام الأكاديمي السوفيتي وهي درجة دكتوراه علوم (D. S c) في الفلسفة، انهيت كتابتها عام ١٩٨٢، وناقشها عام ١٩٨٣، تحت عنوان: **الديالكتيك المادي النظرية الأعم للتطور**. وبلجنة علمية مشكلة من ثمانية عشرة عالما. إذ يتحدث العاني عن هذه الأطروحة في رسالة أخرى خاصة حملت عنوان مشروعي الفلسفي والذي سنعاود الحديث عنها لاحقا في الفقرة القادمة.

ويبدو أن الدم العراقي لم تبرده ثلوج روسيا ولم تستهويه شقراوات عاصمة القياصرة لينينغراد (سان بطرس بيرج)، فعاد انكيدو العراقي يبحث عن رحلة عناء جديدة، وهذه المرة من اليمن الذي لم يعرف من السعادة سوى الذكرى والاسم، ومن عاصمتها الجنوبية معقل القبائل الماركسية. إذ حصل على عقد عمل بصفة أستاذ زائر في جامعة عدن سنة ١٩٨٢، أي بعد إكماله كتابة أطروحته الثانية وقبل مناقشتها. قاطعها مدة المناقشة فقط، ليعود إليها متسنما هذه المرة رئاسة قسم الفلسفة والعلوم الاجتماعية في الجامعة، ليقوم بتدريس المواد (المادية الديالكتيكية و المادية التاريخية، و الفلسفة الحديثة و الفلسفة المعاصرة لطلبة القسم). فضلا عن تدريسه المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية في المدرسة الحزبية العليا للحزب الاشتراكي اليمني مجاناً. وربما كانت هذه أول مناكفاته في

اليمن حيث سببت له متاعب لاحقة منها.
يقول العاني: (إن عملي في المدرسة الحزبية أثار ضغينة رئاسة البعثة التدريسية السوفياتية فيها، لأن المواد التي شرعت بتدريسها كانت من حصة البعثة، فأطلقت عني إشاعات تقول إنني معادي للينينية)، ويالها من تهمة قد تذهب بصاحبها وراء الشمس. ويواصل العاني حديثه: (إلا أن رئاسة المدرسة لم تعبأ لهذه الأقاويل، التي لم تشك في كونها مجرد إشاعة مغرضة، فواصلت العمل في المدرسة).
خلال هذه المدة نفذت صلاحية جواز سفره العراقي وكان من المستحيل تجديده. ولِمّا كان يحضَّ بمكانة مميزة في جمهورية اليمن، حصل على جواز سفر هذه الدولة.
حصل نمير العاني في نيسان من سنة ١٩٨٥ على لقب أستاذ (بروفيسور) من جامعة عدن. وفي مطلع عام ١٩٨٦ انفجر الصراع الحزبي القبلي وتوقفت الدراسة خلاله لأكثر من شهرين، عمّت خلالها الفوضى وغاب القانون (إنْ كان في اليمن قانون)|، وغادر اغلب الأجانب منها إلا هو (انكيدو عاشق المتاعب)، الذي يصف تلك المرحلة بقوله: (عمّت خلال هذين الشهرين الفوضى وغاب القانون وكنت معرضاً خلال هذه الفترة العصيبه للقتل في أية لحظة من قبل قوى الظلام و التكفير التي كان لها حضور في ساحات القتال، و التي سبق وأن أشاعت عني أني كافر زنديق). معاد للّينينية مرة وكافر وزنديق أخرى.
وبعد هدوء الوضع الأمني وعودة الحياة والدراسة وانجلاء غبار معركة القبائل الحزبية كانت النتيجة ليست لصالحه. يقول العاني: (واصلت عملي في الجامعة فقط. ففي ظل القيادة الجديدة للحزب و للدولة تم الاستغناء عن خدماتي في المدرسة الحزبية، و إخراجي من الشقة التي كنت اسكنها في بنايتها تحت تأثير إشاعات عني قالت بمناصرتي للرئيس علي ناصر محمد، وإنني من كتب له تقرير اللجنة المركزية الذي تقدم به إلى المؤتمر الثالث للحزب وأشياء مختلقة أخرى).
وانتهت في عام ١٩٨٧ مدة تعاقده مع تلك الجامعة، وتحت ضغط مبدأ حب الحياة والبقاء للأصلح لم يجدد عقده بعذر حاجته للتواصل مع جديد العلم والبحث العلمي، وغادر اليمن الى روسيا السوفيتية وتحديداً مدينة لينينغراد، ليُريحَ روحة وفكره بين أحضان زوجته البطرسبيرجية وأبنائه ليلى ورافد، ويواصل قراءته بمكتبة جامعتها لينينغراد التي حرمته من العمل فيها بعدّه حاملاً لجواز أجنبي على الرغم من حصوله على الإقامة الدائمة بجواز يماني ومن ثم عراقي بعد أن سُحب منه جوازه اليماني، وإعلان العفو العام في العراق سنة ١٩٨٩.
يقول العاني معلقاً على محاولة عمله في هذه الجامعة: (وبعد ذلك حاول أحد زملائي الذي كان رئيساً لكرسي الفلسفة في احد المعاهد العليا في لينينغراد تعييني أستاذاً في مؤسسته التعليمية، إلا أن الدائرة الأيدلوجية في لجنة منطقة لينينغراد للحزب الشيوعي السوفياتي لم تسمح بذلك، إذ رفضت تعييني استاذاً لمادة ايدولوجية مهمة كالفلسفة بحجة إنني أجنبي).
ظل نمير العاني عاطلاً عن العمل حتى عام ١٩٩٧، إذ نفذت صلاحية جوازه العراقي

وأصبح مواطنا أجنبيا يعيش بلا جواز، ويصعب عليه جراء ذلك الحركة والتنقل، إلى أن رضخ أخيراً للواقع المر كما اشرنا.
يصرح العاني عن هذا الوضع: (إنّ هذا الظرف بالذات هو الذي اضطرني الاستسلام أخيراً أمام أمر اكتساب جنسية روسيا الاتحادية، الأمر الذي قاومته طيلة السنوات الستة التي انصرمت على انهيار الإتحاد السوفياتي، إذ أصبحت خلالها الغالبية العظمى من العراقيين الذين كانوا مقيمين فيه، إن لم اقل كلهم، من حاملي الجنسية الروسية). ولكن قبل ذلك حصل العاني على فرصة عمل أخرى في اليمن وفي جامعة عدن تحديداً، إذ عرضها عليه فريق يماني كان يزور روسيا السوفيتية قبيل انهيار نظامها السياسي وذلك في عام ١٩٩٢، وقبلها بسبب إلحاح صديقه رئيس جامعتها لكونه لا يعمل بوظيفة جامعية.
ومنذ عودته الأخيرة الى روسيا استقر فيها وعمل في جامعة سان بطرس بيرج حتى عام ٢٠١٧ بصفة (متقاعد عامل)على الرغم من إحالته على التقاعد لبلوغه السن القانون منذ سنة ٢٠٠٢. وهو الآن متفرغ تماماً للبحث العلمي.
ثانياً- منجزه العلمي : إن عمر المنجز العلمي لنمير العاني قد قارب النصف قرن تقريبا، إذ بدء هذا المنجز في عام ١٩٧٠ واستمر حتى يومنا هذا لأنه مازال متفرغاً للبحث العلمي.
ولكن، خلال العقود الثلاثة الأولى التي عاشها وبخاصة العقدين الثاني والثالث (كما لاحظنا في سيرته العلمية) كانت حياته غير مستقرة، وإن مثلت هذه العقود مرحلة نضجه العلمي واكتمال أدواته البحثية، فضلا عن كونها تمثل بداية شبابه، حين كان في الثلاثينات والاربعينات من عمره، وهو ما يفسر قلة إنتاجه في تلك المرحلة، ولكن برز نشاطه العلمي خلال العقدين الأخيرين، وبخاصة بعد عام ١٩٩٧ ، وهو العام الذي عمل به بشكل مستقر في جامعة سان بطرس بيرج ، إذ تجاوزت فيها أبحاثه كما صرح لنا في إحدى رسائله، بحدود (السبعين بحثاً).
والمؤسف في ذلك أن هذا النتاج كان مكتوباً باللغة الروسية، مما جعله بعيداً عن قارئه العربي. هذه ملاحظة أولى، والثانية في هذا الجانب نود تسجيلها حول نتاجه العلمي، وهي: إن نتاجه المكتوب باللغة العربية تركز حول الفلسفة الاجتماعية والفلسفة الماركسية بعامة. أما المكتوب باللغة الروسية فتركز بشكل أساسي على فلسفة العلوم الطبيعية (فلسفة العلم) وأبعادها الاجتماعية والأخلاقية، وهي بالتأكيد موضوعات قيّمة، وبخاصة إنها كتبت خلال إقامته في روسيا الاتحادية، وعمله في إحدى أرقى جامعاتها باحثاً وتدريسياً، إذ تلخص فلسفته بحق.
عالج في أبحاثه هذه مسائل دقيقة في فلسفة العلم، وناقش أهم مدارس فلسفة العلم المعاصر، ومنها الوضعية المنطقية، والعقلانية النقدية وبخاصة فلسفة كارل بوبر، إذ خصها نمير العاني بدراسات نقدية جادة. كاشفا عن عجزها في تفسير مسار العلم وتطوره بحق. كونها تنطلق من براديم ميتافيزيقي للعالم لا يعكس ديناميكية وتطور العالم ومساره الديالكتيكي، بل إن حديث كارل بوبر ومدرسته عن التطور هو زيف، لأن

تصورهم لمفهوم التطور المنبثق (emergent evolution) ومفهوم الانبثاق (emer-gence) يقضي على، بل ويناقض مفهوم التطور، ويكشف عن عجز قدرته التفسيرية لأهم حلقات سيرورة التطور[٢] .

لا نريد هنا أن نتعجل بالحديث عن فلسفة نمير العاني، ونكتفي بتقسيم مسار تطوره الفكري على مرحلتين هما:

المرحلة الأولى- وهي بواكير تكوينه الفكري، تمتد من أواسط عقد الستينات الى نهاية عقد السبعينات، وتتصف هذه المرحلة بتبنيه الماركسية على وفق رؤية ومنهج المدرسة السوفيتية التقليدية.

المرحلة الثانية- وهي مرحلة النضج والاكتمال المعرفي، وتمتد من بداية عقد الثمانينات حتى اليوم. وأبرز ما تتصف به هذه المرحلة ظهور روح النقد لديه، وتحرره من هيمنة القراءة المدرسية للماركسية والمتمثلة بالقراءة السوفيتية لها. ولا شك أن هذه المرحلة قد مرت أيضا بتدرج واضح نستطيع أن نلمسها من خلال عناوين كتبه وأبحاثه، وأبرز متغير فيها ميلها نحو فلسفة العلم وأخلاقيات العلم وأبعاده الاجتماعية. أما منهجيا فلا يزال متبنياً المنهج الديالكتيكي، ولكن برؤية علمية واضحة لا تميل الى الاطلاقيات والحتميات المعروفة في المادية الديالكتيكية التقليدية، وهو ما سنتحدث عنه في فقرة لاحقة، بعد أن نتوقف عند أهم عناوين أعماله المنشورة في اللغتين العربية والروسية[٣].

يقول نمير العاني متحدثا عن إنجازاته : (إن أول بحث صدر لي كان باللغة الروسية، وتم نشره في المجلة العلمية لجامعة لينينجراد في عام ١٩٧٠ ، تحت عنوان "**حول تعريف مفهوم العلاقات الإجتماعية**". أما أول بحث باللغة العربية كتبته فقد نشر في مجلة "الثقافة الجديدة" العراقية في عام ١٩٧٣ ، تحت عنوان "**القيمة العلمية لموضوعات ماركس عن فويرباخ**". وبعد ذلك تتالت انجازاتي العلمية، حتى تجاوزت الآن المائة، بين بحث ومؤلف في شتى صنوف المعرفة الفلسفية).

وبدورنا سنحاول تصنيف هذه الإنجازات العلمية لنمير العاني على المنشورة باللغة العربية أولاً، وثانياً نشير إلى انجازاته باللغة الروسية، والتي هي فقط عناوين كتبه مع تعريفات لموضوعاتها، بالاعتماد على ماوردَ في نص رسالته الموجهة إلينا والمشار إليها آنفا.

أولاً- إنجازاته العلمية باللغة العربية

١. حول مفهوم الحقيقة في الفلسفة البرجماتية. دار الهمداني للطباعة و النشر، عدن، ١٩٨٣. يستجلي الكتاب الطابع البرنامجي لمقالة جارلس بيرس "كيف نجعل افكارنا واضحة"، التي قام بنشرها في عام ١٨٧٨ وشكلت المصدر الحقيقي للفلسفة البرجماتية إجمالاً ، و يكشف أيضا عن الأساس المنهجي والنظري العام للموقف البرجماتي من الحقيقة، الأساس الذي يمكن تلخيصه على وفق ما أرى، في تعاليم جارلس بيرس عن الشك والاعتقاد من جهة، و تعاليمه عن المعنى من جهة أخرى. و في ضوء ذلك يتم استعراض تصور بيرس للحقيقة الذي ينتهي به إلى التوكيد أن "الحقيقة تتلخص في المنفعة المستقبلية لأهدافنا". و من ثم يعرض الكتاب لتطوير هذا التصور لاحقاً من قبل وليم جيمس و جون ديوي، وصولاً إلى صياغة كاملة للفهم المثالي الذاتي للحقيقة

في شكله البرجماتي.

٢. ابن خلدون و بدايات التفسير المادي للتاريخ. دار الهمداني للطباعة و النشر ، عدن، ١٩٨٤. يلقي هذا الكتاب نظرة على تطور الفكر الفلسفي الاجتماعي قبل ماركس، ويكشف عن النقلة النوعية التي شكلها الفهم والتفسير الخلدونيين للتاريخ والواقع الاجتماعي. فمن جهة يقوم باستقراء منهج ابن خلدون الفلسفي في البحث التاريخي، أما من الجهة الأخرى، فيسعى للبرهنة على إن مقدمة ابن خلدون تشكل المحاولة الأولى في فلسفة التاريخ والفلسفة الاجتماعية لربط التطور التاريخي والاجتماعي بعوامل مادية، مثل طريقة كسب الناس للمعاش، أي أسلوب حصولهم على وسائل المعيشة، طريقة إنتاجهم لها. إن البداوة و العمران (الحضارة)، والذين اعتبرهما هذا الفيلسوف العربي المبدع المرحلتين التاريخيتين الأساسيتين لتطور المجتمع البشري، تقومان في الحقيقة على أسس اقتصادية خالصة. فالبداوة، كمرحلة دنيا لهذا التطور، تعتمد في رأية على الرعي و تربية الماشية (وإلى حد ما الزراعة)، بينما العمران، كمرحلة عليا للصيرورة التاريخية، فتقوم، على وفق تصوره، على التجارة و الحرف المختلفة (الصناعة). كما و يوضح الكتاب إن ابن خلدون كان سبّاقاً في ربط التطور التاريخي والاجتماعي بعامل مادي آخر هو البيئة الجغرافية للناس.

٣. الرابطة العامة لظواهر الواقع و شكل وجودها الاجتماعي. دار الهمداني للطباعة و النشر ، عدن، ١٩٨٥. يشكل هذا الكتاب دراسة في موضوع الشيء، الصفة، العلاقة، وصولاً إلى تعريف مفهوم الرابطة العامة لظواهر الواقع التي تتجسد في أشكال ستة لها هي: رابطة الدقائق الأولية، الرابطة الميكانيكية، الرابطة الفيزياوية، الرابطة الكيمياوية، الرابطة البايولوجية (الحيوية) و الرابطة الإجتماعية. إن الشكل الأرقى بين هذه الأشكال هو الرابطة الاجتماعية التي تتحقق في صيغتين: دنيا هي العلاقة الفردية للإنسان، وعليا هي العلاقة الاجتماعية له. فالعلاقة الاجتماعية هي، إذن، الشكل الأرقى الذي تتجلى فيه الرابطة العامة لظواهر الواقع على سطح كوكبنا. وبالارتباط مع ذلك يتم تحديد أهم السمات التي تميز العلاقة الاجتماعية عن بقية الأشكال التي تظهر فيها الرابطة العامة لظواهر الواقع.

٤. المرأة و تطور العلاقات العائلية عبر التاريخ. دار الهمداني للطباعة و النشر ، عدن، ١٩٨٥. يقف هذا الكتاب على ظهور و تطور مؤسسة الزواج و العلاقات العائلية عبر التاريخ، ابتداء من الصيغة غير المنظمة للعلاقة الجنسية بين الرجل و المرأة، مروراً بالعائلة الجماعية التي قامت على مبدأ الزواج المشترك، وانتهاء بالعائلة الأحادية القائمة على الزواج الأحادي. وفي سياق ذلك يتم الكشف عن أسباب صعود و من ثم سقوط المرأة تاريخياً على المستوى العالمي، وعن الشروط الضرورية لتحريرها من العبودية التي باتت ترزح تحتها منذ أن فقدت مكانتها الريادية في المجتمع.

٥ – مبدأ التطور و علاقته المتبادلة مع مبادئ وحدة العالم و التشارط المتبادل و التعاكس العام. مركز الدراسات الإشتراكية في العالم العربي، دمشق، ١٩٨٨. يشكل هذا الكتاب في حقيقته تعريباً موجزاً لأربعة فصول من أطروحته للدكتوراه الثانية الموسومة

"الديالكتيك المادي النظرية الأعم للتطور" والبالغ عدد فصولها ثلاثة عشر فصلاً. ففي البداية يتم صياغة تصور يقضي بضرورة تمييز مفاهيم ثلاثة هي: الحركة و التطور و التغير. فالحركة تفهم كمظهر خارجي يتجلى فيه التغير، أما التطور فيؤلف جوهره الداخلي. وعليه، فإن التغير، وفق هذا الفهم، يشكل وحدة ديالكتيكية للحركة و التطور. وتأسيساً على هذا الفهم للتطور يقوم الكتاب بتحليل طبيعة العلاقة بين مبدأ التطور وبين كل من مبادئ وحدة العالم، والتشارط المتبادل لظواهره، والتعاكس العام. و قد أوضح هذا التحليل إن العلاقة التي تقوم بين هذه المبادئ هي علاقة ديالكتيكية متبادلة، أي علاقة تأثير وتأثر. وفي ضوء ذلك يتم تصوير مبدأ التطور أساساً أو جوهر لبقية مبادئ الديالتكيك المادي، من جهة ، وبوصفه مظهراً تتجلى فيه هذه المبادئ، من جهة اخرى.
فضلا عن هذه العناوين، نشر العاني عدداً من البحوث في المجلات العراقية والعربية وبحسب ما وقع تحت أيدينا، فلديه الأبحاث العلمية الآتية:

الأبحاث المنشورة في مجلة الثقافة الجديدة البغدادية، وهي بحسب تسلسها الزمني:

- القيمة العلمية لموضوعات ماركس عن فيورباخ، ع ٥١ ، آب ١٩٧٣.
- نظرة في تطور الفكر الفلسفي الاجتماعي قبل ماركس، ع ٦١، آيار ١٩٧٤.
- تعقيب على مقال (علم المنعكسات الشرطية للدكتور نوري جعفر) . ع ٦٥، أيلول ١٩٧٤.
- منهج ابن خلدون في البحث العلمي. ع ٦٩ ، كانون الثاني ١٩٧٥ .
- المرأة وتطور العلاقات العائلية عبر التاريخ. ع ٧٣ ، حزيران / تموز ١٩٧٥.
- الرابطة العامة لظواهر الواقع وشكل وجودها الاجتماعي – القسم الأول – ع ٧٧ ، كانون أول ١٩٧٥
- الرابطة العامة لظواهر الواقع وشكل وجودها الاجتماعي – القسم الثاني – ع ٨٠ ، نيسان ١٩٧٦

الأبحاث المنشورة في مجلة النهج الصادرة في سوريا، وهذه البحوث قد ضمها كتابه (مبدأ التطور).

- دور وأهمية المناهج الفلسفية والعلموعامة في دراسة التطور كسيرورة كونية ، ع ١٥، ١٩٨٧
- مبدأ التشارط المتبادل وجدلية العلاقة بينه وبين مبدأ التطور ، ع (١٨، ١٩٨٨
- مبدأ وحدة العالم وجدلية العلاقة بينه وبين مبدأ التطور، ع ٢٨، ١٩٨٩.

ثانياً– إنجازاته باللغة الروسية:

– **موجز تاريخ الفلسفة (بمشاركة آخرين). إيتمو، سانت بطرسبورج، ٢٠٠٠.** تشارك العاني في هذا المؤلف مع عدد من أعضاء كرسي الفلسفة بجامعة الدولة للميكانيك الدقيق و العدسات ("إيتمو") في سانت بطرسبورج، ككتاب دراسي مقرر لطلبة الإختصاصات التكنولوجية. يتوقف الكتاب في البداية عند اصل الفلسفة و من ثم يقدم

عرضاً وافياً للفلسفة القديمة و فلسفات العصر الوسيط و عصر النهضة و العصر الحديث و كذلك للفلسفة الكلاسيكية و ما بعد الكلاسيكية الألمانية. و من بين المدارس الفلسفية المعاصرة يقف الكتاب وقفة خاصة على الوجودية و الوضعية و الظاهراتية.

– منهجية و فلسفة العلم. إيتمو، سانت بطرسبورج، ٢٠٠٠. ضم هذا الكتاب في محتواه مجموعة المحاضرات، التي ألقاها على طلبة الدكتوراه و الماجستير في جامعة "إيتمو"، إبتداءً من العام الدراسية ١٩٩٨–١٩٩٩، وتضمنت تحديداً لأهم خصائص العلم، التي تميزه عن بقية أشكال الوعي الاجتماعي، و توضيحاً لبنية المعرفة العلمية، واستعراضا مستفيضاً لوظائف هذه المعرفة، إضافةً إلى عرض موجز لأهم التصورات المنهجية في فلسفة العلم.

– **فلسفة التكنولوجيا. مطبعة أ– برينت، سانت بطرسبورج، ٢٠٠٤.** يضم الكتاب تسعة فصول، باربعة وعشرين مبحثاً. و تشكل هذه الفصول دراسة لأصل الأداة (التكنولوجيا) ودورها في نشؤء الإنسان والمجتمع وتحدد المضمون الملموس لمفهوم التكنولوجيا و المراحل الأساسية لتطورها من جهة، ونشوء و تطور فلسفة التكنولوجيا من جهة ثانية . كما وتبحث أيضا في موضوعي الحتمية التكنولوجية والمدلول القِيَمي للتكنولوجيا. وفي سياق دراسة التطور التاريخي للتكنولوجيا يخلص الكتاب إلى تمييز أربع مراحل أساسية في هذا التطور، هي: مرحلة نشوء التكنولوجيا و مرحلة التكنولوجيا الحرفية و مرحلة التكنولوجيا الآلية و مرحلة التكنولوجيا المعلوماتية، محدداً السمات الجوهرية لكل من هذه الأشكال التاريخية للتكنولوجيا. لقد شكل هذا الكتاب، باعتراف المقومين الرسميين له، إضافة مهمة إلى المكتب الفلسفية الروسية، و يعدّ من أوائل الكتب المكرسة لفلسفة التكنولوجيا، الصادرة في روسيا.

– **تصورات الطبيعيات المعاصرة. دار نشر "البوليتخنيك"، سانت بطرسبورج، ٢٠٠٨.** يستعرض هذا الكتاب أهم إنجازات العلوم الطبيعية المعاصرة و يكشف عن الأبعاد الفلسفية الأساسية لأهم هذه الإنجازات في الفيزياء وعلم الكون (الكوزمولوجيا) والكيمياء وعلم الأرض (الجيولوجيا) وعلم الحياة (البيولوجيا) وعلم البيئة (الإيكولوجيا) والسبيرنيتكا. و قد تم اعتماد هذا المؤلف مرجعاً رئيساً (كتاباً مدرسياً) لطلبة مرحلة البكالوريوس في كلية الإنسانيات في جامعة إيتمو

– **منهجية وفلسفة العلم. الطبعة الثانية. إيتمو، سانت بطرسبورج، ٢٠١١.** تحتوي هذه الطبعة الموسعة على تسعة فصول بثلاثين مبحثاً، تبدأ ببلورة تصور فلسفي عام للعلم. وفي سياق ذلك يتم تحديد أهم سمات النشاط العلمي التي تميزه عن كافة الأشكال الأخرى للنشاط البشري، وبالارتباط مع ذلك يجري تشخيص الصفات الأساسية للمعرفة العلمية، المميزة لها عن بقية أشكال المعرفة الإنسانية. ومن ثم يتم تحليل و دراسة الصورتين الأخريين لوجود العلم: صورة العلم كمؤسسة اجتماعية (أي كعنصر مهم في البنية الاجتماعية) وصورته كمؤسسة ثقافية (كعنصر في البنية الثقافية). وبعد صياغة الفهم الفلسفي للعلم يقف الكتاب على منهجية العلم بوصفه مكوناً اساسياً لفلسفة العلم، ويستجلي بنية المعرفة العلمية محدداً المستويين التجريبي و النظري للعلم كعنصرين

أساسيين في هذه البنية، و يكشف عن الوظائف الأساسية التي تنهض بها هذه المعرفة. كما و يقف الكتاب أيضا على برهانية المعرفة العلمية موضحاً عدم إمكانية اختزال البرهان العلمي برده إما إلى الإثبات، كما تفعل الوضعية المنطقية، أو إلى التفنيد، كما تفعل البعد– وضعية (البوستبوزيتيفيزم)، ومؤكداً إن الحجة العلمية تقام بدليلي الإثبات والتفنيد معا كضدين ديالكتيكين يوجدان مع بعض في وحدة لا يمكن فصم عراها. وبعد ذلك يتم الكشف عن الطبيعة الديناميكية للمعرفة العلمية بوصفها سيرورة مستمرة و تحليل الشكلين الكلاسيكي و المعاصر للعقلانية العلمية و تسليط الضوء على تاريخ العلم كمشكلة منهجية. وأخيرا يقوم الكتاب بتحليل الجانب القِيَمي للنشاط العلمي و تحديد البعد الأخلاقي للعلم. وقد تم اختيار هذا الكتاب مرجعاً أساسياً لطلبة الدكتوراه في جامعة إيتمو في مادة "تاريخ و فلسفة العلم" منذ إدخالها إلى المنهاج الدراسي لطلبة الدكتوراة في عام ٢٠٠٦.

– **تكنولوجيا المعلومات و الحاسوب في التعليم في مجال الإجتماعيات و الإنسانيات: تحليل فلسفي–سوسولوجي (بمشاركة آخرين).موسكو، ٢٠١٢.** يشكل هذا الكتاب تلخيصاً لأبحاث قام بكتابتها نمير العاني فضلاً عن عدد من أعضاء كرسي الفلسفة في جامعة إيتمو حول إمكانية استخدام تكنولوجيا المعلومات والحاسوب في التعليم الجامعي في مجال الاجتماعيات والإنسانيات وعن النتائج المترتبة على ذلك.

– **الصور العلمطبيعية للعالم Palmarium Academic Publishin ، سآربريوكن، ٢٠١٤.** يضم هذا الكتاب الذي صدر باللغة الروسية في ألمانيا ستة أبواب هي: الصورة الفلسفية للعلم: العلم كمادة للتحليل الفلسفي، الصورة الرياضية للعالم، الصور العلمية للعالم اللاعضوي، الصور العلمية للعالم العضوي، الصورة الأنثروبولوجية للعالم، الصورة ما بين العلمية (العلمية المشتركة) للعالم. وإحتوت هذه الأبواب على ثلاثة عشر فصل بثمانية وخمسين مبحث. يبدأ الكتاب بالتحديد الملموس لمحتوى مفهوم الصورة العلمية للعالم، المحتوى الذي يشكل وحدةً أو مزيجاً من المنجزات العلمية والأفكار والمبادئ الفلسفية، ومن ثم يستجلي الأوجة أو الصور الثلاثة لوجود العلم: العلم كشكل للنشاط البشري و كعنصر في البنية الاجتماعية وكمكون من مكونات الثقافة. بعد ذلك يتم تحليل و دراسة الجوانب أو المكونات الأساسية للصورة العلمية للعالم والتي هي كالآتي. **الصورة الرياضية للعالم، الصورة الفيزياوية للعالم. والصورة الفلكية (الكوزمولوجية) للعالم. الصورة الجيولوجية للعالم. الصورة الكيمياوية للعالم.**

الصورة الحيوية (البايولوجية) للعالم. الصورة البيئوية (الإيكولوجية) للعالم. الصورة الإنسانية (الأنثروبولوجية) للعالم. الصورة ما بين العلمية (العلمية المشتركة او التضافرية) للعالم

يقول العاني في خاتمة رسالته: هذا هو ملخص شديد الإيجاز لمحتوى الكتب التي صدرت لي حتى الآن (٢٠١٦). وفي الوقت الحالي أواصل العمل في ثلاثة مؤلفات جديدة، تجري كتابتها في آن واحد، أي بصورة متوازية، الأول بينها في فلسفة العلم – المشكلات العامة، و الثاني في فلسفة الفيزياء، و الثالث في نظرية الوجود (الأنطولوجيا)).

المطلب الثاني– مشروع نمير العاني الفلسفي : يلخص العاني مشروعه الفلسفي بالقول: إنه محاولة لبناء نظرية فلسفية للديالكتيك أو ما يمكن أن نصطلح عليه بفلسفة الديالكتيك. والديالكتيك كما هو معروف هو منهج فلسفي يكشف عن تمفصلات الوجود في حركتة الدائمة، أو بحسب الصياغة الهيجلية هو (التجربة التاريخية للوجود عقلا وقد تمت صياغته تجريديا)[٤] ، أو بصياغة هيجلية أدق هو سيرورة الروح في العالم... والتاريخ[٥].

مرّ المنهج الديالكتيكي بمراحل وتطور حتى وصل بصياغته المعروفة عند هيجل وماركس، وربما كانت أهم محطاته عند الفلاسفة هيراقليطس وأفلاطون واسبينوزا وكانط وهيجل وماركس. والسؤال المهم أليس الديالكتيك عند كل هؤلاء هو فلسفة[٦]؟. هل يمكن فصله عن فلسفة الفيلسوف، وبخاصة عند هيجل وماركس؟.

إذاً ماذا يقصد نمير العاني بقوله: إن مشروعه الفلسفي يتمثل في بناء الديالكتيك نظرية فلسفية؟؟. هل هي صياغة نقدية تضمر ما ورائها؟ .

يقول العاني متحدثا عن ذلك: (خلال دراستي الجامعية استهواني المنهج الديالكتيكي (الجدلي) في البحث الفلسفي، فإنكببت على دراسة "علم المنطق" لهيجل و "انتي دوهرنك" و "ديالكتيك الطبيعة" لإنجلز وأعمال أخرى تشيد أهم مقومات هذا المنهج. إن القرآءة المتمعنة لهذه المؤلفات مكنتني من أن أتمثل المنهج الجدلي ذهنياً بصورة استطعت من خلالها أن استخدمه في بلورة تصور فلسفي للمجتمع كمنظومة للعلاقات الاجتماعية). إذ تجسد ذلك التصور على حد قوله في دراسته الماجستير والدكتوراه.

وبعد ذلك اخذ يتبلور لدى نمير العاني مشروعة الفلسفي وصار ملحاً بل وضرورياً الشروع بإنجازه بعد أن رأى المدرسة السوفيتية قد اغتالت الروح الثورية في المنهج الديالكتيكي (محولةً إياه في حقيقة الأمر من منهج لتغيير الواقع إلى وسيلةٍ لتبريره والدفاع عنه. وفي ضوء هذه الرؤية قمت بوصف التعاليم، التي كانت طاغية في هذه المدرسة آنذاك بفلسفة الركود).

لا شك أن ما يقوله العاني هنا هو أكثر مما نحتاجه لنحكم بالقول إن مشروعه الفلسفي هو قراءة للماركسية يتجاوز فيها القراءة السوفيتية التي حولت الماركسية من فلسفة تغيير الواقع الى تبريره بحسب وصفه.

وهنا نتساءل هل قراءاته للماركسية والديالكتيك ووعيه بها هي لوحدها مصدر قرائته ؟، أم أن تجربته السياسية أيضا كانت الموجه الأساسي لهذه القراءة؟.

ليس أمامي ما يكفي من مصادر تسمح بالإجابة الدقيقة عن هذا السؤال. ولكن القراءات العديدة المخالفة للقراءة السوفيتية لا اعتقد هي بعيدة على متخصص بالفلسفة الماركسية عاش التجربة السوفيتية عن كثب ولاحظ بوعيه الفلسفي وروحه الحرة انعكاساتها على المجتمع السوفيتي من تضييق في الحريات الفكرية وتغول الجهاز الحزبي والبوليسي، كما لا يخفى على نمير العاني السياسي، سياسة السوفيتيت الخارجية ومنها طبعا تجاه البلدان العربية بعامة والعراق بخاصة، الذي ذاق مرارتها بنفسه. أَلَمْ يُحدِثنا نمير العاني عن انهياره العصبي بسبب الأحداث التي أعقبت انقلاب ١٩٦٣ وإعتقاله سنة ١٩٧٨، ومن

ثم هروبه إلى خارج العراق. صحيح إن السوفيت لم يلزموا القيادات الشيوعية في العراق بالفتاوى الصادرة من موسكو على حد تعبير جاسم الحلوائي[٧]. ولكنهم لم يخرجوا هم أيضا في فهمهم للماركسية عن هذه القراءة التي كان من نتائجها قوافل من الشهداء والضحايا من دون أن يجنوا ثمار ذلك. وبكلمة أخرى إن القراءة الخاطئة للمادية الديالكتيكة ولمنطق الصراع هو الذي حول القوى الثورية الى قوى مهادنة مع القوى الرأسمالية العالمية وحلفائها من برجوازيين محليين.

هوامش البحث

[1]. مصادرنا عن حياته الشخصية وسيرته العلمية وجزء من مشروعه الفلسفي كانت من رسائل زودنا بها العاني مباشرة منها ثلاث رسائل كانت مرسلة سابقاً الى لجنة إعداد الموسوعة الفلسفية العربية، وبطلب منها ومؤرخة في تشرين الاول ٢٠١٦، وقد وردتنا بالعناوين الآتية : سيرتي الذاتية بإيجاز . إصداراتي . مشروعي الفلسفي: كيف بدأ و كيف تطور. ورسالة رابع أرسلها لنا مباشرة تحت عنوان : إيضاحات. وهي فعلا كذلك عن بعض استفساراتنا وأسئلتنا له . وهذه الرسائل بمجموعها التي جاوزت الثلاثين صفحة سنحيل إليها بالإشارة الى عناوينها كما وردتنا. لهذا اقتضى التنويه.

٢. د. نمير العاني ، إيضاحات ص. ٣ .

٣. نمير العاني ، إصداراتي ، ص ٤

[4]. معن زيادة ، الموسوعة العربية ، معهد الإنماء القومي الطبعة الأولى، بيروت ، المجلد الأول ، ص ٣٢٣ .

[5]. إمام عبد الفتاح إمام ، المنهج الجدلي عند هيجل . ص ٢١ .

[6]. يجيب نمير العاني عند طرح هذا السؤال عليه بالآتي (نعم، لقد كان الديالكتيك لدى غالبية الفلاسفة المذكورين و ليس كلهم فلسفةً، غير إن الفلسفة هي نظرية و منهج، هي وحدة لهذا و ذاك. و قد كان الديالكتيك بالتحديد منهجاً، أي طريقةً لبناء النظرية الفلسفية، المنظومة الفلسفية عند بعض ممن ورد ذكرهم. أما أنا فقد قمت بمحاولة استخدام الديالكتيك منهجاً لبناء الديالكتيك نظريةً. فالديالكتيك على وفق هذا التصور، ليس مجرد منهج في التفكير و البحث، ليس مجرد طريقة في بلورة النظرية الفلسفية، بل هو فضلاً عن ذلك، يتحول في منظوري إلى نظرية فلسفية، إلى النظرية الفلسفية للتطور. ولهذا وصفت مشروعي بمحاولة استخدام الديالكتيك منهجاً فلسفياً لبناء الديالكتيك نظريةً فلسفيةً).

٧. جاسم الحلوائي ، حقيقة علاقة القيادة السوفيتية بقيادة الحزب الشيوعي العراقي في عقودها الأخيرة ، موقع الدراسات والأبحاث العلمانية في العالم العربي . www.ssrcaw.org . كذلك انظر زكي خيري ، صدى السنين في ذاكرة شيوعي مخضرم ص ٢٢٨.